هاشم شفيق:

أنا شاعر محلي بنكهة عربية

القطيعة ابتكار أوروبي مثله مثل مبتكرات الحداثة

بيت شعر للمتنبي هو أكثر بقاءً من اي معلّم عباسي

حوار: منصور عبد الناصر

وبمناسبة زيارة الشاعر الى الوطن بعد غياب دام اكثر من ربع قرن التقيناه في الندوة التالي في هذا الحوار:

*هاشم شفيق منذ السبعينيات وإلى ما بعد الثمانين، فرضت عليه القطيعة إجبارية من الأصول.. ما الذي حصل عليه في اتاي وما الذي ضرعا

- الظاهر الاستبدادي السابق بمظهرته القطيعة، فرض منذ مجيئه الى العراق كقوة تدميرية للمجتمع العراقي بتاريخه السياسية والثقافية والاقتصادية، فرض الرسميات لتنتج والمشبوهات والحركات التي لا تحصى، حتى في الأزمنة الفاشية والنازية الايطالية والثقافية إذ ما قيست بأزمنة القتل البعثية كانت ذكية: قضية التعبير عن الرأي والفكر والعقائد كانت مقبولة الى حد ما، بمن يمارس هذا النشاط الانساني كان عرضة للقتل والتعذيب والاقامة الجبرية التعذيب والتمزيق الروحي والنفسي.

في ظل اجواء مثل هذه سوريت هنري كيسنجر وشاعر جميع صنوف التعذيب الكتابي وفرض علي وعلى من هم على شاكلتي منفى وحصار لا مثيل لهما. لكننا كما يشتي أساليبنا الفنية نحاول هذا الحصار وتكسير القيود، فكانت تظهر لنا أعمالنا ومقالات هنا وهناك، في بيروت أو دمشق أو باريس، ينحن لم نزل في بداية الطريق حين كنا في بغداد فإن انشاء البيئة البوليسية والحملات والمداهمات لزوار الفجر من رواد المقهى. أما بخصوص ما حصلت عليه وما خسرته فإن الخسارة الوحيدة هي كانت أرض تمتلئ وتمرغه روائح تنزل الموت، الغدة الماس وطبيعتها، تكية طلع النخل وعشب ورد الجوري وابتكار لون في الأس وتزوال القمر على مسارح الفحوش في الصباح وأنواع تحولات الحجر في المنشآت العراقية، خسرت منظمة الجوري وملاعب الطفولة، ولكني ظفت استردها على الدوام كونها هي الخسارة. في الشعر الذي يستطيعه الصدأ في مواقل الباقي الجميلة كما كان يقول نومان بن هذا الشأن، أي الشعر المرتبط بحركة النبع الفائح في طيات الذاكرة، ذاكرة المطولة وخريتها وشياتها التي تتجدد كلما تقدم بنا الزمن وأواغل في الاغتراب من حالات النهاية. وحين تسألني عن الذي حصلت عليه فإني حصلت على المعرفة بكل تحقيقاتها وبمكانتها التعبيرية والفنية. لقد تطورت أدوتي الشعرية البنائية وتعمق مساري وتعلمت التصيدي بالجنيد والتطور والتحول وتشابكت مع أسئلة التعبير الأخرى وفتحت على أفاق لم نعهدها من قبل، وأوردها الافاق الشعر العربي والعالمي، وتستثمت لقد التحولات في عوالم الأب والفن والعقول الاصلاحية والفنية، لن كان على الصعيد العربي أو الصعد الاوروبية والعالمية.

ضرورا بما جرى عربيا على المستوى الشعري. من تبقى من الشعراء. وبين الشعر؟

- الذي تبقى هو الشعر الحقيقي والأصيل والصادق. الشعر المحمل بالطاقة الشعرية والتجربة الروحية وبالرؤى المستقبلية. الشعر الذي يصمد أمام الأزمنة أكثر من العالم الأثرية فبيت شعر على سبيل المثال للمتنبي هو الأكثر بقاءً الآن من أي معلم عباسي، وهذا ما كان يسعى اليه ذاتي العظيم في حياته في منفاه الاجباري وهو كتابة بيت شعر يبقى أكثر من الحديد أو هذا بالفعل ما حققه الكونيتيا الأدبية.

غدا شعراء الآن وكتبهم القيون، الشعراء الحقيقيون دائما قلة، في كل جيل وتيار وعقيم يظهر عشرات الشعراء، وعلى مدى الزمن تعريض القيام الشعر والشعراء لتبقى الصفوة التي تنبع عظام العالم، تغني، ظروفه ومشاكله وتفتح السبل، ويبقى الشعر الخالص الشعر الذي يبقى، وكما قال الشاعر الألماني هولدرلن "ما يبقى يؤسسه الشعراء".

*هل نحن في لحظة القطيعة أو انتقال حاسم وقاس من حقبة الى أخرى؟

- القطيعة يا صديقي هي ابتكار أوروبي مثله مثل مبتكرات الحداثة وما سميتها التزييفية. البلاغة والتي تبادرا ما تكون جديدة. ظهرت مسألة ما يسمى بالقطيعة مع ظهور الرواية الجديدة ومع ظهور البوبوليكية والحركة الدادائية والغنى هو القطيعة مع الماضي ومع منتجي الماضي سلفا ومثقفين ومنتجي الماضي الذي كان يشكل عائقا امام العرب وخصوصا في أجوائه التحريرية التي تتحدث بالحرب العالمية الأولى والثانية، ونحن وكما تعرف سيريعون في المرتكض وراء الاشكال والمدارس والموضات الأدبية. حتى لو كانت متشبعة أو مدفوعة في منتاجها وخط أدبيوبية مثلا على ذلك الفيتوبية المدرسة نقدية وظاهرة فنية وعلمية كانت قد فتيت في فرنسا وبدأت عندنا.

فالمبدع كما أفهمه هو تواصل مضروني وذاتي وجمالي مع كل مبدعات التعبير الأدبية والراهنة. فالأدب هو هوية وصيغة وشكل فني، والجمل والنثري فيه يدفع بقدماه العاصر دون ريب نحو ضفاف المستقبل إن شرائط تبرؤ نادرا لا صدوده أما نهاية تجميل والمبدع والباحث فيه أما القطيعة بالمفهوم السطحي والمبادل والتداول الآن فيأتيه في زمني مضيعة لوقت وفيه دير لمواهب والطاقات الابداعية الثابتة والنامية.

*هل تعتبر نفسك شاعرا بقصائد وآراء وحوارات وتاريخ ومناقب.. أم انك شاعر صاحب مشروع شعري؟

- كل شاعر صاحب مشروع شعري، هو بالتأكيد مبصيح شخصية مبدعة عامة، تتعرض الى التساؤل والأسئلة التي تتعلق بحياته ومنشئه وبتكوينه الابداعية، فالحوار على سبيل المثال هو وسيلة جمالية تكشف مسارات الشاعر وتحولاته الفنية والجمالية خلال تجربته ومدونته الابداعية، وهو أيضا صاحب آراء وربما نظريات وتصورات نقدية وفنية ترافق البدع لتجلي ما نعمض وما نظهر وما نجده ونبرز ونتعض وما نبدل ونستبدل وما هنا وهنا في النهاية سيرة الشاعر الابداعية، فصاحب المشروع الشعري هو صاحب آراء وحوارات ومساجلات وجدل ومشكلات نقدية وأسمية وفكرية ورؤى فلسفية وجمالية.

- بعد كل ما جرى لابد قد امتلكت تصورا خاصا وجديدا بما كان يحيط بك وما يحيط بك الآن.. ما هو هذا التصور؟

- بعد عجرة واغتراب طويلين، وبعد عدة تجارب وحيوات لأهلنا فكنا وأزمنة كثيرة بعد كل هذه الخبرة الروحية والنفسية، بعد هذا العطاء في العالم والمشاركة والانتكاسات في القلب والجسد والخارطة الجيوبولتية للكائن، بعد كل هذا وذاك، بعد كل هذا التمار الخاصة في الرؤى والخيال والفنون، بعد كل هذا التزييف والتأمين والتعيين التوتير في النفس، بعد كل هذه الأشياء جميعها أيقنت أن القبور، في الذات هو تأوه العظيمي الانسان، وتركت من خلال هذا التأوه الذاتي الحالم العزلة، الى الابداع والكلمة الحقيقية، والنقل والاخلاص في الفن هو ما يبقى ويدفع الكائن وهو ما يمكنك في الأرض وكل شيء عداه لا زوال.

*هل أصبت بصدمة الحداثة ترجمك، كناقد.. أو أن العكس هو الذي حصل؟

- أزحم على مدى ثلاثين عاما من الكتابة الشعرية، ذي الصحف الى نداء الأصدقاء الى نداء الداخل، لم تبهرني المزاعم الحداثة ولا تشكيلها ووهمها المتعدد. فقطت بالتأكيد على كل جديد يدافع الفضول والتطور، بدافع أن أجد من ذلك زمانتي الجمالية، فرأت كل شيء وكررت حياة الكتابة في القراءة والبحث والاستقصاء، لم يفتني شيء، وتم قدم على شيء، بل أحب نفسي محفوظا من ناحية الاطلاع والمعرفة الذي كانت تمثل كل كلمة تعطيها وأريتها، لاحتفاظ على الدوام عينا لأثبت من أجل الالتقاء بأصحاب وتجارات، حتى عندما كنت في بغداد، كانت الكتب البنائية، الأمية والتقنية والشعرية والأرجاء متنوعة، سافرت من منطقة الصاعدية في باصات "الكلصة" من أجل أن أرى التلي أبيبي، ومن أجل أن أرى البحر لكي أتمكن فيما بعد من الكتابة عنه، وبالطبع هدي الأمس أيضا كان هو الحصول على أقدم الاصدارات في شأن الحداثة الشعرية المتنوعة الذات في العهد البائد، لقد تبرعت للقدماء روحي والشعري بمنوعين أثمرت شعرة الحداثة الشعرية وحصلت على أعداد عديدة من مجلات "مواقف" و"حوار" و"أب" و"شعر" وترجمات لشعراء أوروبيين، وفكر كنت أعرف هذه المجلات والكتب لأصدقائي وأذكر منهم زاهر الجيزاني، خليل الأسدي، مزهل ناجي وشاكر لعيبي وفارق يوسف.

*ما هي أبرز ملامح تأثير مجموعتك الأولى الكتابة في كتابتها في الغربة، إذ شاعر خارج تأثير الأمكنة (كما يسود لي) بمثيل ما شعرت به حين قرأت لك من عدم وجود تأثير "كافكا" خارج العراق على كينونتك الشاعر.. أم تعزو السبب؟

- منذ مجموعتي الأولى الكتابة أيضا" وبعدت نفسي على الامكان أن أرى شاعر محلي بنكهة عربية، تروم وتسعى إلى العالمية.. لو كتابة "القصيدة الكونيوبوليتية" ذات الحسية والرقعة العراقية، بأحوالها وتعاسيها وسالحيها، وأني في الوقت نفسه أتصارع أن تأسس تاج العربي وأن ترعيت في الفضاء العالمي بنكهة عربية، تروم وتسعى إلى العالمية.. لو كتابة "القصيدة الكونيوبوليتية" ذات الحسية والرقعة العراقية، بأحوالها وتعاسيها وسالحيها، وأني في الوقت نفسه أتصارع أن تأسس تاج العربي وأن ترعيت في الفضاء العالمي بنكهة عربية.

*هي القصيدة المتحررة منذ البدء وهي لغة من الشعراء السابقين الأحرار.

*إلى أين تروم الشعر؟

- أروم الشعر الى العراق الأول، العراق الجديد، عراق الحداثة والعصرية في الحياة والشعر والمكان، في الذوق والشراب، عراق الثقافة العصرية والفنون العصرية، عراق العصري، وليس العراق الصفة الآن. "كما ترى كيف حال العراق"

*يعني أن أفهمه في هذه القصيدة التي كتبتها حنينا في العراق.

تفصيل شجرة الرمان

1 طفولة الرمان

بين شجيرات الرمان بزغت
أصطبغت أنوثتي
بحبيبات الرمان
انتشعت أحلامي الأولى
بعصير أحمر
فتلوث ذهني بالأحمر،
ففي صبغته تشور
القصيدة
أتسعت أفراحي
وأنا أحبو
في بستان الرمان
أحبر غدتي
وتلطخ خدي
بزهور الرمان

2 عيد الرمان

صبيانا كنا،
كان معلمنا في درس الجبر
إن أخطأنا
يضربنا بغصون الرمان
وإذا أفلحنا يأخذنا
في نزهات صوب ميدان
بأشجار الرمان
ذية أيام كانت تلك
وأي زمان
ذاك التنهدل
والخافي فوق بساتين الرمان

3 غياب الرمان

حين كبرنا
كنا نذهب للحان
كي نحسو جرعات من أمل
تأتينا عبر أغان
لتظول عن الحل
(حلجل علي الرمان
النومي فزعلي
هذا الحلو
ما تريده
ودوني لأهلي)
«أغنية شهيرة من التراث العراقي

4 تفتوة الرمان

أهدرنا سنوات في الشغب
ولنا كان لنا مقهى
في الشام
فيه طلال
تجيرات الرمان
في الصيف تطفئنا بأسرار
وفي الشتاء
نرى عبر زجاج المقهى
فتيات غاميات
يعفين بأعلى الصدر
جمال الرمان الرائد
في هضبات هيام

5 شيخوخة الرمان

نامنا
في الظلال
لرمانة تتصدع
مفعمة بالحلاوة
بالدبس بالمطر
تحت الغروب
وفوق زهور النبات
أنا جالس لتأمل وحدي
هنا
سنوات الخطاف
وأمل في هذكي
أن تجيء سنيني
مبللة بالندوة
في أخر العمر تمضي
إلى الحلو والمنتحب
إلى الجنتي والرهيب

*لم تبهرني فزاعات الحداثة

*الشعراء الحقيقيون هم دائماً قلة

يمثل الشاعر هاشم شفيق حلقة مهمة من الحلقات الشعرية العراقية المعاصرة، وهو في تواصله الابداعي عبر ثلاثين عاماً، والتي عشرة مجموعة شعرية يؤكد لنا هذه الحقيقة وإن كانت غير واضحة المعالم للبعض بسبب الظروف السياسية التي كانت سائدة داخل العراق، أو ربما بسبب الحضور النقدي الذي لم ينجح بدرجة كافية بموازاة الصيرورة الشعرية لهاشم شفيق، لكن هذا الصوت السجيني الذي انطلق بحضور مؤثر، لم يزل فاعلاً في ما يقدمه من نصوص.. وبعد ذلك واضحاً في الدواوين الأخيرة التي حملت بصمة شعرية مغيرة بوضوح تخص هاشم شفيق وحده.

إصدارات حديثة

تأملات في الأدب الافريقي

ليس هذا الكتاب تاريخاً للأدب الافريقي بقدر ما هو تأملات تستدعيها الروائع الفنية لهذا الأدب الذي يهز.. ويمازج العقول في أرجاء العالم على حد وصف مؤلفة الكتاب الدكتورة منوة كروان.

تحيد المؤلفة تأمل التجمر اللغوي خاصة مقدمة الأبادة التي تعتبر أقدم ما حفظه الأدب من أدب الافريقي كما تأمل وتقدم دراستها لبعض نصوص الكوميديا والرجيديا ثم تلخص فصلاً أخيراً أبحث الوظيفة الاجتماعية للمؤرخ من خلال قراءتها لبعض أوراق مؤرخين من العصر الافريقي.

القاهرة وضواحيها

من منبع النيل إلى مهبطات الصحراء ومن مطلوس لعنان والزواج والموسيقى والرقص إلى الجنازات تتعدد محتويات كتاب "القاهرة وضواحيها" للمستشرق الفرنسي "كي فوجاني" والذي صدرت ترجمته العربية أخيراً من "مكتبة مدبولي" وقام بترجمته مدحت عايد فهمي.

ويتميز الكتاب بأنه لا يتوقف عند القاهرة فقط ولكنه عند إلى الضواحي والريف ويقدم صورة حقيقية عن وضعية الصحراء وحالتهم التعليمية والثقافية بتوصيف والتحليل ونقد لعاداتهم ومعتقداتهم خلال فترة العصور الوسطى من بين ما يتناوله الكتاب مفهوم الصريم والحريمك والعصبيات والموسيقى والرقص والتواصف كما يلقي الضوء على تساعد العروبة وجامع الأزهر والأضرحة وغيرها.

أبناء مصر في مصر الفرعونية

من المؤلفات المهمة التي كتبها المؤرخ المصري لراحل جمال حمدان فؤاد "الأقباط المصريون أقرب السيحيين في العالم إلى الإسلام بمعنى أو بآخر" وهو أحد الاقتباسات التي يستفيد منها الكاتب هاني لبيب في كتابه المهم "الوحدة والهوية.. الأقباط في مجتمع متغير" الصادر حديثاً عن دار الشرق.

الكتاب يمثل خطوة جريئة وموضوعية في مناقشة قضايا تخص مفهوم الهوية الوطنية المصرية في عصر العولمة وتسليط الضوء على بعض المشكلات والأمنية التي يرددها الأقباط في مصر حول أوضاعهم الدينية والسياسية والاجتماعية.

ويتعلق الكتاب في دراسته المهمة من تأكيد أن مفهوم القومية العربية لا يهدد الهوية الفرعية "الكلدوية العربية في حلاص للمسيحيين العرب، لأنها في أصلها حركة تحرر لا تعترف بالانتماءات الدينية والعرقية، النظام السائد العادل ولا بالخيوط العرقية (الخلط بين الدين والجنسية) ومن ثم فإن خلاص الأقباط هو في عروبة مصر".

ويقدم الكاتب نحليلاً موضوعياً محايداً لعدة إشكاليات مثل الإشكاليات السياسية التي يناقش فيها إحجام المسيحيين عن العمل والمشاركة السياسية للأقباط وتوظيف الأقباط والعروبة، ثم الإشكاليات التاريخية ثم الإشكاليات الإسلامية مناقشاً مفاهيم فرض الجزية وعقد الذمة ثم العلاقة بين الأقباط والتيارات الإسلامية. كما يناقش بعض الإشكاليات الكنسية (التعارف والأصولية المسيحية ومفهوم العلمانية في الكنيسة والعولمة) ويتوقف عند مجموعة من الإشكاليات الاجتماعية وبينها دور بعض الممارسات الإعلامية في الإساءة للأقباط وقضايا العنف. وحتى التناول الفني لقضايا الأقباط في مصر يلفت له المؤلف رصداً تاريخياً قبل أن يتوقف أمام جيلين أساسيين بالمناقشة والتحليل وهما رواية "المنصورة" لنجيب محفوظ ومسلسل "أولاد الزوا" الذي عرض أخيراً في التليفزيون المصري.